انقلاب الأصدقاء

عبد الناصر والمشير عامر ومبارك وأبو غزالة

جمعتهم الدفعة وفرقتهم السلطة

الفصل الثاني

النائب العام يحبط صفقة السادات وممثلة إغراء

obeikandl.com

obeikandl.com

لم يكن موت عبد الحكيم طبيعي وثار لغط حول نهاية الرجل الثاني واستمر الجدل حوله حتى كتابة هذه السطور وحاول عبد الناصر حسمه منذ اللحظة الأولى إلا أن السادات عقب رحيل عبد الناصر حاول أن يستخدمه كورقه ضغط لتشويه صورة عبد الناصر وكلما أعيد فتح ملف عبد الحكيم أعيد معه الجدل والنقاش الذي سرعان ما ينتهي إلى الحفظ لعدم جديه البلاغات والأدلة وحرص كل من تابع حادت موت عبد الحكيم أن يسجل شهادته لإبراء ذمته .

يروي وزير العدل عصام الدين حسونة الذي أشرف على التحقيق في قضية وفاة المشير أنه تقابل عام ١٩٧٥ مع صديقه المهندس حسن عامر شقيق المشير الراحل الذي أخبره أنه تقابل مع السادات الذي طلب منه أن يقدم طلب لإعادة التحقيق في قضية وفاة المشير.

وأخبره السادات أنه سيجد كل مساندة وتأييد منه في طلبه.

ـ في ١٩٧٥ تم تقديم طلب بإعادة التحقيق في قضية وفاة المشير عبد الحكيم عامر، وتم فتح التحقيق في القضية بسماع أقوال الشهود مرة أخرى.

كما تطوع أحد خبراء السموم بإعداد تقرير عن القضية بعد مرور ٨ سنوات على وفاة المشير، والطريف أن هذا الخبير لم يرى المشير لحظة وفاته ولم يقم بمعاينة جثته أو تشريحها .

ولكنه كتب تقرير لم يأت فيه بجديد عن تقرير الأطباء الذين عاينوا الجثة لحظة الوفاة.

وأنهى تقريره إلى أن المشير قد تم قتله بدس السم له بدون دليل .

انتهي التحقيق الجديد إلى الحفظ لعدم وجود أدلة جديدة.

كان واضحا أن الهدف من إثارة الموضوع سياسي لتشويه الرئيس عبد الناصر وعهده حتى ولو استدعى ذلك المتاجرة بجثة المشير الراحل.

في عام ١٩٧٥ أصدر النائب العام محمد عبد السلام الذي كان يحقق في قضية وفاة المشير مذكراته في كتاب عنوانه (سنوات عصيبة) هاجم فيه الرئيس عبد الناصر وعهده بضراوة، ولكنه عندما تعرض لقضية وفاة المشير أكد أنه انتحر ونفي احتمالية اغتياله جملة وتفصيلا.

تولت النيابة التحقيق قبيل منتصف الليل بواسطة النائب العام، وفحص الجثة ظاهريا بحضور وكيل وزارة العدل لشئون الطب الشرعي ووكيل عام المصلحة، ووجد أسفل جدار البطن من الناحية اليسري قطعة مستطيلة من ورق لاصق يخفي شريطا معدنيا يحتوي على ثلاث فجوات بكل منها مسحوق من مادة ثبت من التقرير الطبي الشرعي والتحليل أنها مادة الأكونتين السامة، وأن المشير توفى بسبب تناول هذه المادة ممزوجة بالأفيون منذ محاولة نقله من منزله في الساعة ٢,٣٠ بعد ظهر الأربعاء ١/ ٩/ ١٩٦٧.

وقال المستشار محمد عبد السلام في كتابه عن تقرير الطب الشرعي الذي أورد أن سم الأكونتين مخبأ وهو ممتزوج بالأفيون على جسد المشير، وأن ما تناوله مغافلا الحراس في منزله كان من هذه المادة، وأن الشريط اللاصق الذي يخفي مادة الأكونتين السامة والمخبأ في موضع دقيق من جسم المشير قد تكرر نزعه وتثبيته بما يصلح تفسيرا لمحاولة الانتحار أكثر من مرة، وأن استمرار أعراض القيء يومي١٣، ١٤ احتمل معه أن تكون وفاة المشير قد حدثت نتيجة تسمم من مادة الأكونتين التي تناولها في منزله ممزوجة بالأفيون يوم١٣ ـ وهي مادة يمكن أن يكون أثرها فوريا أو يتراخى إلى أكثر من ١٨ ساعة ـ وأن هناك احتمالا أن يكون المشير قد استبطأ مفعول السم فتعجل النهاية وأخذ قدرا آخر منه عندما دخل دورة المياه يوم ١٤ قبيل وفاته. ثم ربط التقرير بين بعض ما أثبته فحص أوراق السلوفان التي لفظها المشير في السيارة من احتوائها على أجزاء مفضضة لامعة بها آثار مضغ، وبين ما هو ثابت من وجود مسحوق الأكونتين معبأ في جزء من شريط معدني مفضض

لامع ومخبأ على جسم المشير بورق لاصق، مستخلصا من ذلك أن المشير تناول في منزله قدرا من مادة الأكونتين الموضوعة في الشريط المعدني المفضض، مع احتمال أن يكون هذا القدر وحده هو الذي تسبب في حدوث الوفاة، واحتمال أن ما عجل بها هو القدر الآخر الذي أخذه في الاستراحة.

أما عن مصدر المادة السامة فقد ثبت أن المشير حصل عليها من هيئة المخابرات العامة. إذ إن السيد صلاح نصر تسلم في ١٠/ ٤/ ١٩٦٧ ستمائة ملليجرام من مادة الأكونتين السامة معبأة بمقادير متساوية في ست فجوات كانت معدة أصلا لوضع حبات الريالتين في الأوراق المعدنية الخاصة. واعترف السيد صلاح نصر بتسلمه مادة سامة وضعها في مكتبه، وظلت فيه بحالتها إلى أن مرض يوم٣١/ ٦/ ١٩٦٧ وانتقل من مكتبه يوم ٣/ ٧ إلى إحدى الاستراحات حتى أعفي من منصبه يوم ٦٢/ ٨/ ١٩٦٧ دون أن يدري شيئا عن مصير المادة التي تركها في مكتبه. وقد ضبط بهيئة المخابرات العامة باقي المادة ومعها ورقات معدنية كانت معدة لوضع حبات الريالتين، وثبت من التقرير الشرعي والصور الشمسية أن إحدى هذه الورقات تكمل الورقة المضبوطة على جثمان المشير وبها مادة الأكونتين. وبذا تحقق أن المشير حصل على المادة السامة التي بها انتحر من إدارة المخابرات.

كان رئيس الجمهورية قد أصدر في يوم الأربعاء ٣١/ ٩/ ١٩٦٧ أمرا بنقل المشير عامر من منزله إلى استراحة أعدت بالمريوطية في منطقة الهرم، ليقيم فيها منفردا تحت الحراسة تمهيدا للتحقيق معه بشأن ما أسند إليه.

وقد نقل وزير الحربية هذا الأمر إلى الفريق أول محمد فوزي لتنفيذه، فقام ومعه الفريق عبد المنعم رياض والعميد سعد عبد الكريم وعدد من الضباط والجنود ووصلوا إلى منزل المشير الساعة الثانية والنصف بعد ظهر ذلك اليوم، وانضم إليهم قائد الحرس المحلي العميد محمد سعيد الماحي. وقابل العميدان سعد والماحي المشير

في غرفة الاستقبال وأخطراه بأمر رئيس الجمهورية فأبي تنفيذه. ودخل الفريق رياض ليحاول بنفسه إقناعه، ولكنه أصر على الرفض وغافل الحاضرون وتناول بقصد الانتحار مادة الأكونتين السامة ممزوجة بقطعة من الأفيون وورقة من السلوفان للتخفيف من آلام التسمم، وعندئذ شوهد وهو يلوك في فمه مادة أدرك الفريق رياض والسيدة نجيبة كريمة المشير على الفور أنها مادة سامة وأنه تناولها بقصد الانتحار. ونقل المشير إلى مستشفي القوات المسلحة بالمعادي، وكان يلوك أثناء الطريق تلك المادة، وبعد إلحاح شديد من الفريق رياض قام بإخراجها ولفظ ما في فمه في يد الرائد عصمت محمد مصطفي من الشرطة العسكرية والذي كان يرافقه في العربة، وكانت عبارة عن ثلاث ورقات سلمها الرائد عصمت إلى المستشفي عند وصوله. وقد أجريت الإسعافات اللازمة هناك، وأصر الفريق أول فوزي على نقله إلى استراحة المريوطية بعد هذه الإسعافات.

وصل المشير إلى المريوطية الساعة الخامسة والنصف مساء يوم ٣١/ ٩/ ١٩٦٧ وترك هناك تحت رعاية النقيب طبيب مصطفي بيومي حسنين الذي ظل يتردد عليه طوال الليل، ولاحظ أنه يشكو من سعال وقيء فأعطاه عقاقير مهدئة وبعض الإسعافات وفي الساعة العاشرة صباح يوم ١٤/ ٩/ ١٩٦٧ تسلم الرائد طبيب إبراهيم البطاطا نوبته في الرعاية الطبية، ولاحظ توالي القيء وأصيب المشير بحالة هبوط لم يتمكن بسببها من تناول طعام الغذاء، فاضطر الطبيب إلى تغذيته عن طريق الحقن في الوريد بمحلول الجلوكوز، وفي السادسة مساء دخل المشير إلى دورة المياه وكان يتقيأ ثم عاد إلى فراشه، ولكنه مات في حضور الطبيب الساعة ٦,٣٥ مساء.

في الساعة السادسة والنصف بدأ وصول أعضاء مجلس قيادة الثورة، وبعد نحو خمس عشرة دقيقة أي في السابعة إلا ربعاً تقريبا وصل المشير عبدالحكيم عامر.

ويقول السيد سامي شرف عن تلك اللحظات الحرجة : قمت مع شعراوي جمعة بتنفيذ مهمتنا، وكانت تتمثل في اعتقال المرافقين للمشير ووضع سيارته تحت

الحراسة بعد تفتيشها في جاراج منشية البكري.

ووفق ما كان واردا في الخطة فقد دخل إلى منزل الرئيس في الساعة السابعة تماما كل من: أمين هويدي ومحمد المصري من مكتب سامي شرف، وأحد الضباط الأحرار والعميد صلاح شهيب من الياوران، وأحمد شهيب من الضباط الأحرار وعضو مجلس الأمة عن دائرة مصر الجديدة، وكان العميد محمد الليثي ناصف يمر باستمرار حول المنطقة وداخل المنزل، ويقول مدير مكتب الرئيس عبد الناصر في مذكراته: بدأت من مكتبي وإلى جواري شعراوي جمعة في تسجيل ما يدور داخل الصالون الرئيسي بمنشية البكري، وللتاريخ فإن ما دار قد تم تسجيله بالكامل، ولا أعلم أين توجد الآن هذه التسجيلات وإن كنت قد أودعتها في أرشيف التسجيلات السري للغاية في سكرتاريا الرئيس للمعلومات بمنشية البكري، وما أذكره الآن أن حوارا تم أساسا بين جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر، استعرض فيه الرئيس تاريخ العلاقة الوطيدة والصداقة المتينة مع عامر وتطوراتها على مدي السنوات الطويلة السابقة، وعلى الرغم من أنه كان من الواجب مساءلة المشير عامر عما حدث في أزمات ١٩٥٦ و١٩٦١ و١٩٦٢ بالدرجة الأولى وغيرها وأخيرا ما حدث في يونيو١٩٦٧ فقد تم احتواء كل هذه الأزمات بتأثير الصداقة، وحفاظا على وحدة القيادة ووحدة البلاد، واستطرد الرئيس موجها كلامه للمشير بما نصه حسبما أذكر بقدر الإمكان:

«...ولكن كونك تتآمر يا عبدالحكيم - وليس يا حكيم كما كان يناديه باستمرار وكما تعودنا كلنا على سماعه- فهذا وضع لا يمكن قبوله أو السكوت عليه، ويعني أيضا أنك تتنكر للاتفاق الذي تم بيننا عقب نجاح الثورة في ٢٣ يوليو، من أن أي واحد فينا من أعضاء مجلس قيادة الثورة إذا اختلف أو لم يكمل المسيرة لأي سبب، لا يتآمر».

فقاطعه المشير عامر قائلا: «أنا لا أتآمر ولم أتآمر وأنا بأرفض كلامك ده!».

فرد الرئيس قائلا: «إنت تآمرت فعلا وسوف أذكر لك حادثة واحدة من وقائع ثابتة، عندي الكثير منها وبأقول لك: انت بعثت سكرتيرك محمود أحمد طنطاوي للفريق صدقي محمود من خمسة أيام برسالة تتضمن أنك تنوي الاستيلاء على السلطة، وانك تطلب من صدقي محمود أن يشترك معاك ويحضر لمقابلتك، ولكن صدقي أبدى عدم موافقته لدرجة أن حرم الفريق صدقي شتمت سكرتيرك وطردته من المنزل وقفلت الباب بشدة خلفه، ودي واحدة من آلاف غيرها».

عبدالناصر أضاف مخاطبا عامر: تحب نقول وقائع تآمرية تانية علشان ،لإخوة كمان يعرفوا ويتأكدوا من اللي بيحصل من تصرفات غير مسؤولة، وغير محسوب المصائب اللي حا تترتب على المضي فيها بلا حساب لما نحن فيه من وضع حساس داخليا وخارجيا؟ فسكت المشير لكن عبد الناصر استطرد قائلا:

« أنا في الحقيقة موش عارف ليه إنت بتربط نفسك بالقوات المسلحة وبقيادة الجيش، هل إحنا لما قمنا بالثورة كان هدفنا أن أتولي أنا رئاسة البلد وانت تتولي قيادة الجيش؟.. عايز أفكركم كلكم وانت بالذات مين اللي رشحك، واقترح وأصر على تعيينك قائدا عاما موش أنا اللي كنت وراء هذا التعيين؟، وإذا كان الأمر كذلك طيب ألم يكن من الطبيعي بعد الانفصال وما حدث وموقف الجيش ومكتبك هناك ودورك أن تحاسب على ما حدث؟.. حتى بعد ذلك ألم تكن هناك أكثر من مؤامرة ضد النظام ضبطت وهي من صنع رجال يعملون في مكتبك يا عبدالحكيم؟.

لم يتمالك أعصابه عند هذا الحد من اللقاء، فانفعل وبدأ يفقد أعصابه فقال له الرئيس:

الأمور واضحة.. أنت راجل متآمر وعليك أن تقدر الموقف الصعب اللي بنمر فيه وعليك أن تلزم بيتك من الليلة.

حاول الحاضرون إقناع المشير في تلك الليلة بأن هذا القرار يحقق مصلحة البلاد العليا، غير أنه كان غاضبا للغاية وأصم أذنيه تماما، وبدا أنه يعيد النظر في كل شيء متجها بفكره وبصره إلى بيت الجيزة والاستعدادات والرجال هناك والمجموعة التي كانت معترضة على إتمام هذا اللقاء، دون أن يدري شيئا بأمر الاتصالات بين سامي شرف وبين كل من الفريق فوزي واللواء حسن طلعت واللواء محمد أحمد صادق.

كانت القوة التي تم تشكيلها بعلم الرئيس عبد الناصر قد نجحت بالفعل في حصار منزل المشير بالجيزة، غير أن بلاغا تلقاه سامي شرف من قيادة تلك القوة عن حريق محدود بفيللا المشير، كاد يقضي على أدلة الإدانة التي وجهها عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة إليه، ويضيف سامي شرف :« جاءني بلاغ من داخل البيت من مصدري هناك بأن النيران نتيجة محاولة كل من عباس رضوان وشمس بدران وبعض الضباط حرق أوراق وخرائط في بدروم المنزل، من ضمنها أوراق جمعها شمس بدران من غرفة نوم المشير على عجل وترك ورقتين أو سقطتا منه وهاتين الورقتين، وكانتا من أهم الدلائل أثناء المحاكمة لإثبات التآمر وإدانته. ويضيف سامي شرف :« كنت أبلغ عبدالناصر أولا بأول بكل هذه البلاغات، إما عندما يخرج من الصالون ويتصل بي من غرفة مكتبه لمعرفة آخر الأخبار أو كنت أبلغ بها أمين هويدي لينقلها للرئيس!.

ما حدث عقب تلك الساعات العصيبة التي حاكم فيها عبد الناصر المشير أمام مجلس قيادة الثورة: خرج المشير من الصالون متوجها إلى دورة المياه، وقابل أمين هويدي على الباب فقال له: أهلا بوزير حربيتنا.. الله.. الله.. ده أنتم مجهزين كل حاجة والحكاية محبوكة على الآخر».

دخل عبد الحكيم عامر إلى دورة المياه، ثم خرج بعد قليل حاملا ورقة سيلوفان فارغة وكوبا في يده رماها على طول امتداد ذراعه قائلا: «اطلعوا بلغوا الرئيس إن

عبدالحكيم خد سم وانتحر»، ثم دخل إلى الصالون بهدوء ليجلس على نفس الكنبة التي كان يجلس عليها وهو يبتسم في هدوء وكأنه لم يفعل شيئاً، فصعد أمين هويدي مهرولا إلى الدور العلوي ليبلغ الرئيس الذي استقبله على رأس السلم وقال له:..... «أنا سمعت ما قيل واللي بيحصل ده كله تمثيل....»

استدعي الدكتور الصاوي حبيب طبيب الرئيس الخاص وكان موجودا في منشية البكري فدخل على عجل وحاول أن يقوم بإسعاف المشير الذي رفض أن يستجيب له مما اضطر معه أن يقوم حسين الشافعي بالإمساك بالمشير بشدة حتى يتمكن الدكتور من حقنه وحاول أن يضع إصبعه في فمه ولكن من دون جدوي.

أمين هويدي ابلغ الرئيس بمحاولة المشير الانتحار أول مرة فقال له عبد الناصر: لا تصدقه ده بيمثل .

في الساعة الرابعة وخمسين دقيقة تقريبا اتصل الفريق أول محمد فوزي وأبلغني أنه أنهي العملية بنجاح ومن دون أي خسائر، وأن المنزل أصبح خاليا إلا من عائلة المشير، حيث حددت إقامته هناك بين أهله وأولاده فجر يوم السادس والعشرين من أغسطس١٩٦٧ تحت حراسة أفراد من القوات المسلحة المصرية.

في الخامسة والنصف صباحا حضر الفريق فوزي إلى سكرتاريا الرئيس للمعلومات بعد أن تأكد من تأمين الأوضاع بالكامل في منطقة الجيزة، وبعد إلقاء القبض على كل الذين كانوا موجودين ببيت المشير وفي مقدمتهم شمس بدران وعباس رضوان كما تم تفريغ المنزل من كل الأسلحة والذخائر والتي حملت في ثلاثة عشر «لوري» حمولة ثلاثة أطنان، وتولى قيادة الحراسة على المنزل اثنان من العمداء يتناوبان على مدى الأربع والعشرين ساعة. ويقول سامي شرف:« كانت تعليمات الرئيس المشددة تنص على عدم المساس بأسرة المشير وأن تكون موضع الرعاية الكاملة حتى لو حدث أي نوع من التطاول، وبعد السيطرة على المنزل بدأ تفتيش المكاتب والبدروم فقط، وضبطت كل بقايا الأوراق والخرائط المحروقة

وكذا نسخ كثيرة من الاستقالة وبعض أوراق لم تحرق كانت ذات فائدة في التحقيقات والمحكمة بعد ذلك، وبعد أن استقر المشير في المنزل تم قطع جميع الخطوط التليفونية ما عدا خطاً واحداً فقط رؤى الإبقاء عليه».

حاول المشير أن يتصل بالرئيس أكثر من مرة، لكنه لم يستجب له فأرسل إليه ورقة تسلمها محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس، يطلب فيها رفع الإقامة الجبرية عنه وإلا فإن الرئيس سيندم ومرة أخرى لم يستجب عبدالناصر للتهديد.

غير أنه وفي الثالث عشر من سبتمبر ١٩٦٧ ومع تواصل نشاط واتصالات المشير عامر تليفونيا ومعه بعض من أقاربه وإخوته، بهدف تأليب الرأي العام ضد النظام بعد وضعه تحت الإقامة الجبرية، أصدر الرئيس قرارا بنقل المشير عامر إلى مكان أمين منعزل يتعذر معه إجراء مثل هذه الاتصالات والنشاط، وكلف الفريق أول محمد فوزي مرة ثانية بتنفيذ القرار فتوجه وبصحبته الفريق عبدالمنعم رياض رئيس الأركان واللواء سعد زغلول عبدالكريم مدير الشرطة العسكرية وبعض الضباط من الحرس الجمهوري إلى منزل المشير وكان الضابط المسؤول عن الحراسة في ذلك اليوم العميد محمد سعيد الماحي الذي شارك في تنفيذ المهمة.

وحسب رواية السيد سامي شرف فقد دخل الفريق عبدالمنعم رياض أولا ودعا المشير عامر لتنفيذ أمر رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة فأبى تنفيذه، وتردد في البداية ولكن الفريق رياض تلطف معه ونصحه بمرافقته، وفي تلك اللحظة تناول عبدالحكيم عامر شيئا وضعه في فمه وأخذ يمضغه، مما لفت أنظار الكل والعائلة وصرخت إحدى كريماته بأن أباها تناول سما، ثم دخل المشير في مرحلة فقدان الاتزان فاصطحبه الفريق عبدالمنعم رياض بسرعة إلى الخارج، وحاول هو والفريق أول محمد فوزي أن يضعوه في سيارة الإسعاف التي كانت مجهزة كإجراء احتياطي، إلا أن عامر رفض ركوبها فما كان منهما إلا أن وضعاه في

سيارتهما وتوجهوا إلى مستشفي المعادي للقوات المسلحة التي كانت أخطرت على عجل لعلاج حالة طارئة.

في الطريق إلى المستشفي طلب الفريق رياض من المشير إخراج ما في فمه، وبعد تمنع اضطر لطرد باقي ما كان في فمه وكان عبارة عن مادة تشبه اللادن الأصفر في ورق سيلوفان، فتلقفه ضابط الحرس المرافق الرائد عصمت محمد مصطفي، وكان معه النقيب محمد نبيل ابراهيم والنقيب عبدالرؤوف حتاتة من الحرس الجمهوري، ووضع الرائد عصمت ما تلقفه في منديل ورق حيث سلمه للمعامل فور وصولهم إلى المستشفي وهناك أجريت الإسعافات السريعة وعمل الأطباء: اللواء عبدالحميد مرتجي والعميد محمود عبدالرازق والعميد عبد المنعم القللي والمقدم عبد المنعم عثمان والرائد أحمد محمود عبدالله والرائد حسن عبد الحي على محاولة غسيل لمعدته، ولما رفض أعطى محلولا ليتقيأ وتم ذلك فعلا وعندما قال له اللواء عبدالحميد مرتجي قائد المستشفي بعد تقيئه بشدة أنه لم يعد هناك خطر الآن على حياته قال المشير: «ده أسوأ خبر سمعته».

ويقول سامي شرف :« بعد فترة قرر الأطباء أن الحالة أصبحت مستقرة وطبيعية ومطمئنة، وبناء على ذلك قرر الفريق فوزي استئناف المهمة، واتجه بالركب إلى استراحة المريوطية وفي الساعة السابعة مساء ذلك اليوم أظهرت المعامل نتيجة تحليل ما لفظه وتقيأه المشير عامر وأبلغ المقدم طبيب عبدالمنعم عثمان أن التحليل أظهر آثارا لمادة الأفيون.

وفي استراحة المريوطية التي سبق اختيارها كمقر لإقامة المشير عامر كان في استقبالهم هناك قرابة الساعة الخامسة والنصف من بعد الظهر، العميد محمد الليثي ناصف ومجموعة من ضباط الحرس الجمهوري والنقيب طبيب مصطفي بيومي حسنين وبعض أفراد الخدمة والإعاشة والحراسة ولم يطلب المشير شيئاً سوى عصير الجوافة، وقد مكث الفريق محمد فوزي والفريق عبدالمنعم رياض مع المشير نحو

الساعة دار فيها حوار حول الموقف العسكري، وقال لهم المشير أن عليهم أن يطلبوا تعويض السلاح من الاتحاد السوفييتي الذي هاجمه واعتبره أنه خذل مصر، وقال لهما :« عندكم الرجالة كتير في البلد، وكل ما عليكم هو استئناف القتال»، ثم قال : يا فوزي ويا رياض... تبلغوا الرئيس أنه اذا لم ينه هذا الوضع في أربعة وعشرين ساعة فإنه سيتحمل مسؤولية ما سيحدث».

في يوم الرابع عشر من سبتمبر، لم يتناول المشير أي طعام إلا بعض السوائل، وفي الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم تم تغيير النوبتجيات الطبية والحراسات، فاستلم الرائد طبيب إبراهيم البطاطا نوبته، وشرح له زميله حالة المشير الصحية وتطوراتها وطمأنه بأن الحالة تشير إلى التحسن كما ذكر له الأدوية التي أعطاها له، لكن المشير لم يتناول طعام الغذاء نظرا لاستمرار القيء، وقرر الطبيب المعالج إتمام تغذيته بمحلول الجلوكوز عن طريق الوريد، ويقول سامي شرف :« قرابة الساعة الرابعة من بعد الظهر أبدى المشير للدكتور البطاطا شكوى من ألم في أسنانه فأعطاه حقنة نوفالجين، وبعد ذلك دخل المشير الحمام وتقيأ ثم طلب بعض الماء ليغتسل في غرفته فحمل له أحد السفرجية – منصور أحمد- الماء فاغتسل ثم رقد على السرير، وفي الساعة الخامسة مساء دخل الطبيب حجرة المشير فوجده نائما وكان نبضه وضغط دمه طبيعيين، غير أنه وبعد السادسة بقليل وأثناء توجه الطبيب مرة ثانية إلى غرفة نوم المشير سمع استغاثة السفرجي منصور الذي نادي عليه ليسرع إلى غرفة المشير حيث قرر أنه سمع صوت «شخير» عال صادر عن المشير، ولما دخل الطبيب وجده راقدا على الفراش في حالة غيبوبة ونبضه ضعيف، فسارع بإعطائه حقنة «كورامين» و«أمينوفلين» كما أجرى له تنفسا صناعيا من أنبوبة الأكسجين، ولم يجد ذلك كله حيث تحققت وفاة المشير عبدالحكيم عامر قرابة الساعة السادسة وأربعين دقيقة.

وحسب تأكيدات الطبيب المعالج فإن المشير عامر لم ينطق بأي عبارات في

الدقائق التي سبقت وفاته وكل ما تكلم به مع الطبيب أثناء تعليق أنبوبة الجلوكوز هو أنه قال له: «...مفيش فايدة من كل اللي بتعمله ده...»

ويقول سامي شرف :« في الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة أبلغني العميد محمد الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري بنبأ وفاة المشير عبدالحكيم عامر فقمت بإبلاغ الخبر للرئيس بالإسكندرية في الحال وكان الخبر صاعقاً بالنسبة لنا جميعا، أما بالنسبة للرئيس فقد وضع سماعة التليفون بمجرد سماعه الخبر.

ويقول السيد سامي شرف أن الرئيس عبد الناصر أمر بإبلاغ وزير العدل والنائب العام وكبير الأطباء الشرعيين فورا لاتخاذ الإجراءات القانونية والتحقيق، بل وابلغني الرئيس بأن زكريا محيي الدين وأنور السادات وحسين الشافعي وعلى صبري في طريقهم للقاهرة الآن، وقال لي: أريد عندما أصل إلى القاهرة أن تكون الصورة واضحة أمامي، ولم ينتظر الرئيس تجهيز السيارات أو الحراسات بل توجه لركوب أول سيارة كانت أمامه في استراحة المعمورة، ووصل إلى منشية البكري لمتابعة الموقف من مكتبه.

يقول الفريق الجمسي والذي كان مسؤولاً عن منطقة القناة عن رد فعل الحادث على القوات المسلحة.

وبينما كنت أجلس مع اللواء أحمد إسماعيل ليلا في جبهة القناة نراجع-كالمعتاد يوميا- نشاط العدو في سيناء ونواياه في الفترة القصيرة القادمة، وكذا نتائج أعمال قواتنا، قبل أن يتوجه كل منا إلى خندق النوم المخصص له، دق التليفون وكان المتحدث هو الفريق أول محمد فوزي من القاهرة.

كان هدف المكالمة هو إخطارنا بانتحار المشير عامر في منزله بمادة سامة شديدة المفعول كان يخفيها ملاصقة لجسمه تحت الملابس الداخلية، ولكن الكشف الطبي أجري عليه بواسطة لجنة طبية على مستوى عال بالدولة، وأنه سيعامل معاملة أي منتحر آخر بالنسبة لتشييع جنازته بعد تسليم الجثة لأسرته. ومعنى ذلك أنه لن

تكون هناك أي مراسم عند تشييع الجنازة.

أخذ اللواء أحمد إسماعيل يناقشني في رد الفعل المنتظر لهذا الحادث بين القوات في الجبهة، ووصلنا إلى نتيجة مؤكدة هي أن انتحار المشير عامر لن يكون له تأثير عام فما زالت حرب يونيو بأحداثها ونتائجها المريرة تترك أثرها العميق في نفوس كل العسكريين بعد أن فقدنا سيناء، واستشهد لنا الآلاف من رجال القوات المسلحة، ولم يكن أحد قد نسي دوره في الهزيمة كقائد عام للقوات المسلحة. واستعدنا معا الحالة السيئة التي وصلت إليها القوات المسلحة في ظل قيادته، وكان ذلك سببا رئيسيا من أسباب الهزيمة.

وأصدر النائب العام قراره في الحادث يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٦٧ وجاء فيه « وبما أنه مما تقدم يكون الثابت أن المشير عبد الحكيم عامر قد تناول بنفسه عن بينة وإرادة مادة سامة بقصد الانتحار، وهو في منزله وبين أهله يوم ١٣/ ٩/ ١٩٦٧ قضي بسببها نحبه في اليوم التالي، وهو ما لا جريمة فيه قانونا. لذلك نأمر بقيد الأوراق بدفتر الشكاوي وحفظها إداريا ».

وكان ذلك هو المصير النهائي للمشير عامر، الذي كان برتبة رائد عند قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعد أقل من عام ترقى لرتبة اللواء مع تعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ثم ترقي بعد حوالي ٥ سنوات إلى رتبة المشير في ٢٠ فبراير ١٩٥٨ وأصبح نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة) ـ لواء محمد عبد الغني الجمسي رئيس هيئة عمليات حرب أكتوبر ١٩٧٣.

أكدت الممثلة المعروفة برلنتي عبدالحميد التي كانت متزوجة منه في ذلك الوقت إنها توصلت إلى دليل مادي قوي على قيام أجهزة عبدالناصر بقتله بالسم للتخلص من الحقائق التي بحوزته بشأن أسرار حرب الأيام الستة.

وقالت برلنتي عبد الحميد : إن الطبيب الذي حقق في الوفاة الذي تم توصيفه

انتحارا، أكد لها أنه مات مسموما وتحقق من ذلك بأدلة مادية لا يمكن دحضها، وأطلعها على صورة التقرير الطبي الأصلي الذي يثبت ذلك.

وأضافت أنها تعرضت شخصيا، في أعقاب ذلك، للاعتقال والإقامة الجبرية لفترة طويلة، وحرمت من رضيعها الذي أنجبته من المشير، ولم تكن تجد ثمن الطعام، وان جسدها تعرض للتفتيش من سيدات كان يتم إدخالهن معها في «الحمام» إمعانا في إذلالها.

وأنها حصلت على شهادة مهمة للغاية من الطبيب الذي كتب التقرير الطبي حول وفاة عبدا لحكيم عامر، وكان يعمل في معهد البحوث.

وقالت عرفت أن اسمه «دياب» وأنه في إحدى مدن الصعيد، فأخفيت ملامحي. وارتديت «إيشارب» على رأسي وسافرت إليه وعرفته بنفسي فطلب مني أن أعود إلى القاهرة وسيقابلني فيها. وبالفعل حصل ذلك وأخبرني بأنه بحث عني طويلا، ليخبرني بحقيقة موت زوجي مسموما، وتأكد هو من ذلك بأدلة مادية لا تقبل المناقشة. ثم أطلعني على نص التقرير الطبي الأصلي الذي يثبت أن عامر مات مقتولا مع سبق الإصرار والترصد، وبطريقة ساذجة حيث دسوا له نوعا من السم المميت. وبذلك فقد شهد شاهد من أهله.

واستند استنتاج هذا الباحث بمقتل المشير على قواعد علمية وتحقيقات قام بها مكلفا من الجهات الرسمية.

ووصفت برلنتي عبد الحميد كتابات هيكل عن عبدالحكيم عامر بأنها غير عادلة بسبب انتماء هيكل العاطفي لعبد الناصر، كما أنه لا يعرف الكثير عن العلاقة الوثيقة جدا التي جعلت من الاثنين ناصر وعامر أشبه بالتوأم، لدرجة أن هناك معلومة بأن الاثنين عندما كانا في كلية الحقوق وحصلا على تقدير ضعيف، استطاع عامر دخول الكلية الحربية اعتمادا على اسم خاله حيدر باشا، ثم توسط لعبد الناصر ليدخل الكلية نفسها.

وقالت إن زوجها عبد الحكيم عامر ووالد ابنها «عمرو»، الذي كان رضيعا لم يتجاوز الشهرين في تلك الأيام، أخبرها بمخاوفه من أن تقوم أجهزة عبد الناصر بقتله للتخلص منه بسبب ما في حوزته من معلومات، كما أن عامر أخبر صلاح نصر قائد المخابرات العامة في وقت الحرب بتلك المخاوف.

تتذكر برلنتي الإعلان الرسمي عن انتحار المشير عبد الحكيم عامر في ١٤ سبتمبر ١٩٦٧؟ أي بعد حوالي ثلاثة شهور من انتهاء حرب الأيام الستة مستطردة: توقع بأنهم سيجعلونه كبش فداء للهزيمة، وأن ما يدور في الشارع وفي الإعلام عن تخاذل الجيش وقادته هو بمثابة تحضير لقتله، فعبد الناصر لم يكن ليرضى بأن يتحمل المسؤولية رغم أنه أخطأ عندما أعلن الحرب، فمعظم جيشه كان يحارب في اليمن وأسلحتنا متهالكة، وكنا في ذلك الوقت ننتظر معدات وأسلحة من الاتحاد السوفيتي. لقد أغلق خليج العقبة وهدد بالحرب ظنا منه أن الأمر لن يزيد عن «التهويش» فكان أشبه بمن يريد أن يدعو مجموعة من الناس للعشاء في فندق «الهيلتون» وليس في جيبه سوي خمسة جنيهات.

وأشارت إلى أنها لم تتمكن من زيارة عامر أثناء خضوعه للإقامة الجبرية بعد الهزيمة وإقالته من مناصبه، لكن الاتصالات ظلت بينهما بطريقة ما، وكان يستطيع تسريب الرسائل إليها.

وقالت إنهم اعتقلوها بعد ذلك شهورا طويلة في مبني الاستخبارات «عوملت بقسوة ومهانة شديدة بلا ضمير أو دين، وحرموني من ابني الرضيع، رغم أنه لا ذنب لي في الهزيمة ولم أكن أعمل في السياسة. كانوا يدخلون معي سيدات إلى الحمام ليفتشوا في جسمي، وبعد أن أفرجوا عني أخضعوني للإقامة الجبرية في شقة الزوجية بحي العجوزة، دون أن يكون معي أي مال أتعيش منه، واضطررت لتسريب راديو ترانزستور إلى «البواب» ليبيعه بأربعة جنيهات عشت منها لمدة شهر

كامل.

وأضافت: جاءت أجهزة عبد الناصر إلى بيتي كأنهم يشنون هجوما، فتحوا كل شيء، وسرقوا من «الخزانة» مجوهراتي وكانت عبارة عن طاقم فرنساوي، وأخذوا وثائق وأوراق وعبئوها في حقائب. لقد قتلوا المشير ليتخلصوا منه بسبب ما عنده من معلومات، فقد كان يمكنه أن يذهب إلى الإذاعة ليقول للشعب كل شيء ويكشف حقيقتهم.

opeikandl.com